

اشجار صلعاء

ضحخم . منقاره معقوف . برائنه طويلة وحادة .
أصلع . الشمس تحرق . اشجار هذه المنطقة لم تعد
تورق منذ زمان . ظلال فروعها قصيرة ورقيقة . لم يبق
من بعضها الا جذوعها . محروق اكثرها وبعضها مخروم
بالنار او بالسوس . جثث بشرية تفشى فيها الانحلال ،
ملابس عسكرية ، احذية ، خوذات ، معدات حربية
محطمة ، قليلها سليم . كل ما هو مبعر على امتداد
المنطقة الشاسعة محطم او محروق . الشمس تكوي . لا
اثر لحياة انسانية . كواسر تحلق هنا وهناك واخرى
تجثم على الاشجار اليابسة او فوق الجثث .

ضحخم . منقاره معقوف . برائنه طويلة وحادة .
أصلع . الشمس قوية . تحرك . تحركت . طار . يخلق
فوقي . ظله يدنو مني . صارخا استنجد وخابطاً بيدي
تحتنه . عاد ليحتم على فرع مجدوع . الهث . اللعين !
لا يلهث مثلي . يسخر مني . يستهلك قواي . ينومني
الآن بنظراته الشرسة . يستنزفني كلما خبطت تحتنه .
لقد اجبرني على هذا الوضع . انني شبيهه بسلحفاة
مقلوبة على ظهرها تحت هذه الشمس القاتلة . لا شك
سيفقأ لي عيني ثم يمزق احشائي .

السراب يتموج على مدى مرآي . حلقي متخشب .
ابدل جهدا قاسيا في حركة البلع . احس كأنما حلقي
ينسلخ عندما احاول ان ابلع ريقى . اخرجت قلم
الرصاص من جيب قميصي . اقضمه وامضغه بجهد بالغ .
سائل ساخن ينبجس في فمي كلما مضغت .

خزرت اليه بقساوة حتى لا اضعف . عضلات وجهي
ترتعش . لا بد انها تفضح ضآلتي وخوفي منه . اللعنة!
ماذا سأفعل معه ؟ تحرك ، تحركت مثله . انفتح جناحاه
الهائلان ، مخالفه تنتصب وتنكمش . هاجمني . تفلت
الخشيبات الدامية التي لم اعفصها بعد . يخبط
بأظفاره القوية وانا بأطرافي الخائثة صارخا بجنون . عاد
الى فرعه . حبات العرق تتكور من على جيبني ثم تستقر
على رموش عينيّ المتهبتين .

هذه المرة انظر اليه بعيني البصري ويداي ورجلاي
تنزف . يشحذ منقاره في مخالفه وفي نتوءات الجذع .
في الجولة القادمة ربما سيفمض لي العين الاخرى .
سيحتم عليّ كما يحتم الان على فرعه .

تحرك . صرخت . خبطت . تموضع على الفرع .
حدقت فيه بجنون . يهزأ بي . تحرك . لم اتحرك . هذه
المرة باغتني . يغطيني ظله الخافق وانا اصرخ بضعف .
جناحاه كأنهما مروحة كبيرة تهويّني . عاجز عن حماية
عيني بيديّ . اغمضت العين المفتوحة صارخا اختنق
منقلبا على ظهري . لقد فقأ لسي ايضا اليمنى . بعد لحظة

أربع قصص

بقلم
محمد شكري

هدوء انقلبت على ظهري وعيناى مغمضتان . بذلت كامل جهدي لامسح دمها الدافق على وجهي . اطبقت يدي على برغشة تخبط فوق جفني العرقان . فتحت عينيّ على الشجرة . لم يعد هناك . أمزاق قميص قاتم اللون ترفّ فوق فرع .

لم أعد أستطيع ان اقوم بحركة البلع . رأسي يغلي . حاولت ان أستريح منكفئا على وجهي . اختنقت وعدت الى وضعي . كنت ، من قبل ، ارتاح دائما حين استلقي على وجهي ، لكنني الان أجد هذا الوضع غير مريح . الارض تختزن حرارة النهار طوال الليل . احس نبضات قلبي تكاد تتوقف : بليم .. بلام .. بليم .. بليم .. بلام .. بلام ..

هل سأجف هنا كما تجفّ الخضر في الصيف ؟ جربت صوتي : ايه ! ايه ! واهن وغريب عني . بعد هذا الانين ، سال تحسن طفيف في جسمي . لكن ربما لن أستطيع مرة اخرى ان ابذل مثل هذا المجهود الفاني .

القوة السالبة

خطوات تزحف . فتحت عينيّ . امسكت بندقيتي المسندة الى الشجرة . صرنا نتضارب بحربتي البندقيتين . تلافى ضربتي . أصابتنى طعنة في صميم أسفل بطني . اطلقت بندقيتي . قبضت على الحربة الفروزة في اوصالي . لم يكن غير شيء منتصبا لرجا في يدي . شعرتني مسحوبا بقوة الى الورا . الجبل الذي يشدني من الابطين يتدلى من الشجرة . يسحب من بعيد ، من مكان ما لم أستطع ان أتبينه . ربما يسحب من احدى الاشجار القريبة من هذه التي صارت قدرتي . رفعت رأسي الى فروعها . شيئا فشيئا اسحب مرفوعا . احاول فك عقدة الانشودة في ظهري . ربطوني وانا نائم . كفّ سحب الجبل . جسدي الآن مرفوع حوالي اربع او خمس اذرع . انا رجح كلما تحركت .

على مدى اقصى رؤيتي جسم انسان في مثل وضعي . ارجحت نفسي لافتنا نظري الى جهات اخرى . اجسام مشنوقة من عنقها واخرى مصلوبة من يديها او رجليها وفي مثل وضعي اخريات . لست الوحيد اذن .

في الليل صار في فمي غراء . الصمت في المنطقة مطلق . شميم الروائح كربه . السماء جميلة . ابدا ما تأملتها مثلما تأملها في هذه الليلة القمراء . ربما لم اكن أستطيع رؤية غيرها . كم هي الاشياء التي لا تتجلى رائعة الا حينما اتهاك متعبا او مريضا ! لكن وضعي الان اكثر انحطاطا من كل تعب او مرض .

– ماذا تفعل ؟

– اطلق النار على ما في السماء من قبح .
– لكن ما في السماء جميل لا يموت .
– ما في السماء ايضا يموت . الجميل والقبيح يموتان . الموت على الارض وفي السماء .
– اقتل ما على الارض قبل قتل ما في السماء .
اذا قتلت ما على الارض فسهل عليك قتل ما في السماء .
– كلا ثم كلا . اذا قتلت ما في السماء فسيموت نصف ما على الارض . قد يموت كل ما على الارض .

نمت وحلمت . سروالي مبتلّ . ها رائحتي الصغرى تفوح . مرة اخرى أتأمل السماء كما لم أتأملها من قبل . أتأملها مثلما أتأمل سماء نفسي في ايام المرض واليأس . الاشكال السحابية السابحة في ضياء القمر تبدو كأنها حيوات بلغت زمن القوة السالبة . في مخيلتي امرأة مستقلية على صخرة بحرية تعريها الشمس وتضمهرها امواج باسيفيكية . ربيع « ايفران » ، شواطئ « فيجي » ، « تاهيتي » ، « هاواي » ، « سري لانكا Sri Lanka » وكل مواسم « الاطلس » الموسوم .

اذيال الكلاب الصغيرة

كلب صغير يفترس ذيله بشراسة . صاحته تبكيه : « ساتورنوس ، كفاك يا صغيري . ستلتهم نفسك كلها » .

يهددها بتكشيرة مسعورة كلما حاولت ان تحاذيه . يدور على نفسه مفترسا ذيله . حزام عنقه يدور معه . يلتف حول جسمه . لم تستطع ان تمنعه . اوشك ان يلتهم نصف ذيله . لم يكف . هي تبكي وهو لم يشيع من التهام ذيله . جاء كلب ضخّم ، شريد ، وحشي ، نصفه حمار ونصفه كلب واحتضن الكلب الصغير الذي استسلم له بلذّة . سيدته تنوح صارخة : « سيقتله . يفتصبه . بيعجه . سيفطس صغيري » .

يكشران معا كلما حاولت ان تقربهما . يتلذذان بخفقاتهما . توقف شيخ عالم بطبائع الكلاب وامراضها وقال لها :

– سيدتي ، اطمئني على كليبك . ان القدر رحيم بك اذ ارسل لك هذا الكلب المنقذ في مثل هذه الاحوال . انه طبيب . سيلحم له جرحه الخطير لو انك تعلمين وتؤمنين . ان مرهمه السحري سيسفيه . لعله ايضا سيلقحه ضد امراض اخرى تخفى لك .

قال هذا فكفت المرأة الحزينة عن الندب .
– ان كليبك قد بلغ سن البلوغ فلا تخشي عليه من شيء .

الكلبان يلهثان معا وهما يتأملانها ، يحسهما من براهما زوجين عاقلين . لسانهما الورديان يتديان

القدمين . في الرصيف المقابل كلب بائس يلعق فمه ناظرا الى الرجل والبرميل . فتيات معمّل النسيج اغناهن آكل الزبل . احداهن تقيء لبنا متخثرا ونادل المقهى يصب الماء على القيء لاعنا مصائب الصباح . اخرى تنتحب ، اخريات ينظرن من بعيد ، يغالبن اشمئزازهن . كلهن يشفقن على آكل الزبل ويسترحمن الله على عباده المساكين والمجانين .

انتهى الرجل من اكل الزبل . لحس اصابعه ومسح يديه في مؤخرته ثم ابتعد خطوات واخذ يبول على جدار العمارة .

تناول فطوره في مقهى الاطلس ثم قصد دكان الحلاقة . جلس على المقعد الدوار وقال لحلاقه :
- احلق لي كل شعري بالموسى .

سيسافر في قطار الثالثة بعد الزوال . امامه وقت كاف ليجمع فيه حاجياته ويسلم مفتاح شقته لصديق سيسكنها . سيفيب عن مدينته حوالى ثمانية عشر شهرا . قد يراها في احدى العطل وقد لا يراها ابدا . اخذ الحلاق يبلل له راسه بماء دافىء واغمض هو عينيه ليسترجع كوابيسه التي انهكته ليلة امس .

طنجة

صدر حديثا :

الانسان وقواه الخفية

تأليف كولن ولسن

ترجمة سامي خشبة

دراسة في القوة الكامنة التي يملكها
البشر للوصول الى ما وراء الحاضر

منشورات دار الآداب

وينقبضان اذ يلعقان لعابهما وهما ينبضان ، يسويان وضعهما امام - خلف وخلف - امام . تسارع خفقاتهما ولهاثهما ثم هدا وانسلا بلا ألم ولا دم خلافا لطبيعة الكلاب . واذا رأت المرأة نبوءته علامة لطفت خاطرها المهموم استبشر محياها في وجه الشيخ العاقل الوقور والعلامة بحياة الكلاب . قال لها اذ راي نفسها راضية :

- خذيه الى منزلك ودثريه ما استطعت . لا تطعميه الا ما تيسر وخفّ من طعام لذيذ مدة يومين او ثلاثة والا فعدة من ايام اخر . خذيه وزميله . لقدنفت له في جسمه أجود المراهم واقواها . أبشري ، انه سينمو له ذيل افضل مما كان له واجمل . اصدقيني القول .

قال الشيخ العليم بأسرار الكلاب هذا للمرأة التي طمأنها قوله الحكيم واختفى . وقبل أن تنصرف شاكرة مبتهلة ابصرت سيدة مقبلة أبكاها النحس مما أصابها ، تحمل كليباً شبيها بالذي لها ، عجيزته أدامها نزييف خضير . سألتها رحمة بها :
- ما أصابك يا سيدة ؟

واذا آنست المرأة المحزونة حسن نية سألته قالت :
- مجنون هائم حزّ له ذيله بموسى وهرب . لولا انى ادركته لبتّر له ايضا اذنيه .
- ولماذا فعل له هذا ؟

- انه مجنون يسبح . يقطع ذبول الكلاب الصغيرة . اذا استطاع فانه يحزّ لها حتى آذانها .
- لكن لماذا يفعل هذا لهذه المخلوقات المسكينة ؟
- لا يمكنك أن تصدقي . انه يصنع منها الشورباء او يطبخها مع ما يستعطيه من خضر وحبوب وفضلات مما يعثر عليه في القمامات .

سأنتهي هنا ، في هذه الارض التي اقحلتها الولايات البشرية مثل كومة من البرسيم اذا هم لم ينقدوني . خوذتي مرمية تحتي على الارض قريبا بندقتي . غامت عيناي . راسي يمتليء بضباب ليلي - احمر . احسست تمزقا في حلقي عندما اجهدت نفسي لابلع ريقى . شعرت بانسلاخات تماثلها في داخلي .

الراس الحليق

عندما افاق في الصباح ، اغتسل وتأمل شعره الفزير مرات في المرأة . انه يحب شعره . سياسف عليه . لن يستطيع ان يمشطه الا بعد حوالى عامين . لبس ثيابه وخرج من شقته .

في الطابق الثالث نبج عليه الكلب الضخم خلف الباب المقفل . في الطابق الاول نبج عليه الكلب الصغير . قدام باب العمارة رأى رجلا يأكل النفايات من برميل الزبل . سحنه فاحمة ، اسماله ممزقة ، حافسي